# دور المؤسسات الدينية في مُجابهة العُنف والتطرف

## الزاوية العلوية نموذجا

# The Role of religious institutions in confranding violence and extremism
## –top corner model-

لقب واسم الباحث: بغدادي خديجة[1]
الرتبة: دكتوراه، تخصص: أنثروبولوجيا
جامعة وهران 2 – أحمد بن أحمد

Phd student.Baghdadi Khadidja[1]
PhD :Interpology Speciality
University of Oran2 /Ahmed Ben Ahmed

البريد الإلكتروني:baghdadi.khad3@yahoo.fr

| تاريخ الاستلام:03 / 03/ 2018 | تاريخ القبول: 17/ 03/ 2021 | تاريخ النشر: 30/ 06/ 2021 |
| --- | --- | --- |

**ملخص:**

تسعى هذه الدراسة للوقوف على طبيعة الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات في محاربة العنف والتطرف، ونشر قيم التسامح والتصالح الاجتماعي وتلقين ذلك لمريديها، وكيف يمكن لها أن تكون بمثابة صمام الأمان للمجتمع، والدرع الواقي في ظل توافد التيارات الفكرية الدينية الغريبة عن الإسلام حتى تكون هذه المؤسسات الدينية قلاعا حصينة للدفاع عن الجزائر من أجل إسلام نظيف.

**الكلمات المفتاحية:** الزاوية، العنف، التطرف، المريد.

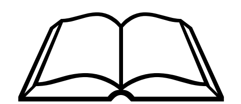
***Abstract :***

*This study seeks to determine the nature of the role that these institutions play in combating violence and extremism, spreading the*

المؤلف المرسل: **corresponding author:** *baghdadi.khad3@yahoo.fr*

*values of tolerance and social reconciliation and indoctrinating their adherents, and how they can act as a safety valve for society, and a protective shield in light of the influx of religious intellectual currents alien to Islam so that these institutions become Religious fortresses are bastions to defend Algeria for a clean Islam.*

***Keywords*** *:Confraternities, violence, extremism, educational, teaching*



**corresponding author:** *baghdadi.khad3@yahoo.fr* المؤلف المرسل:

## 1. المقدمة:

تؤكد العديد من الكتب والدراسات الاجتماعية أن الزوايا والطرق الصوفية قد سجلت حضورها التاريخي على مدى فترات تاريخية طويلة ، إذ لم تكن الزوايا قديما مجرد رباطات للجهاد ومكانا للصلاة والعبادة فحسب؛ بل كانت تمثل فضاء اجتماعيا وثقافيا ودينيا أسهم بشكل كبير في بناء الهُوية الجزائرية، بناءً على مجموعة من القيم والمبادئ، بالإضافة إلى نشر الوعي الديني، هذا على غرار نشاطاتها الاجتماعية والثقافية من خلال استغلال المناسبات الدينية والوطنية كضمان لمكانتها واستمراريتها داخل المجتمع، كما لا يمكن إنكار قدرتها على صناعة السّلوك السّوي الاجتماعيّ، ذلك لأنّ التربية الصّوفية هي تربية روحيّة وذوقيّة وأخلاقية، تسهم في ترقية النفس ووقايتها من الرّعونة والانقياد وراء النزوات التي تؤدي إلى تعزيز قابليّة صناعة السلوك المنحرف.

ومؤسسة الزاوية تستمد مرجعيتها ومفاهيمها من الدين الإسلامي، فلا غرو إذن من القول أنّها تمثل التراث المقدس إلى جانب المساجد والمدارس القرآنية، وحافظة للقيم الحضارية والتاريخية التي يعتز بها المجتمع الجزائري عرفانا لها بالأدوار التي قامت بها خلال فترات الاحتلال الاستعمار ومساهمتها في نشر الوعي الديني كونها تخدم من حيث أهدافها الفرد أكثر من المجتمع، ولو أنّها تخدم المجتمع بشكل غير مباشر.

وقضية العنف والتطرف من أكثر المشكلات التي ابتليت بها الأمّة الإسلاميّة ، فعصفت بالأذهان وزاغت القلوب والعقول عن اتباع الحق، وكثر الاختلاف واحتدم الجدال، ممّا تسبب في فرقة وتنازع وتناحر وصل حدّ الصراعات الدامية ، من هنا كان لابد من إعمال آلة العقل والدين والعودة إلى الإسلام البسيط الشعبي الذي ينبذ كل أشكال العنف والتطرف ، ولأنّ المؤسسات التقليدية (الزوايا) لا تزال تحتضن مظاهر التدين البسيط، وتجنح إلى مبدأ الوسطية بعيدا عن المغالاة والتعقيد والتعسير؛ وهو ما يحفظ لها مكانتها في الفضاء العمومي، رغم كل مظاهر التحضر والعصرنة التي تشهدها المجتمعات الجزائرية، من هنا جاء سعينا لإبراز الدور الذي تلعبه الزوايا والطرق الصوفية في خدمة الإسلام الشعبي البسيط، وفي محاربة كلّ أشكال العنف والتطرف، وقد عبرنا عن إشكالية هذه الدراسة بالتساؤل التالي: ما هو الدور الذي تلعبه المؤسسات التقليدية –مُمثَلَةً في الزوايا – في محاربة العنف والتطرف ؟ وماهي الأساليب الوقائية والعلاجية التي تتبعها لتحقيق ذلك؟

-أهداف الدراسة: يهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة الدور الذي تقوم به الزوايا الصوفية في محاربة العنف والتطرف، والأساليب المتبعة لتحقيق ذلك.

**مفاهيم الدراسة:**

**تعريف الزاوية:** تعرف الزاوية لغويا على أنها مكان للانزواء والانطواء حيث تذكر بعض المعاجم ومنها المنجد الوسيط في العربية المعاصرة أن لفظ الزاوية: «مشتق من الفعل (زوى يزوي) الشيء إذا جمعه وضمه، ومنه زوى سره عن الناس إذا كتمه وطواه ويقال أيضا: زواه فانزوى أي نحاه فتنحى، وتزوى الرجل وزوى وانزوى في قاعة، أي انطوى على نفسه كذلك تنحى إلى ركن من بيت، أو مسجد أو بناء أي عاش في عزلة )[(1)] .

**التعريف الاصطلاحي:** وصفها دوماس من خلال أبحاثه الوصفية بالجزائر سنة 1847 قائلا:" كل زاوية تحتوي على مسجد وعلى قبة المرابط المتواجد بها والذي يحمل اسمه ومحل العلوم لتلاوة القرآن وآخر لدراسة وآخر لتقلين الدروس للأطفال ومكان للإيواء الطلبة من يأتي لطلب العلم، وغرفة للزوار، أو من يريد التوقف والراحة في المرابط"[(2)]، أما من الناحية السوسيولوجية تعتبر الزوايا إحدى عوالم التنشئة والإدماج من الناحية الأنثروبولوجية، فهي تمثل عمق المجتمع المتواجد به كونها تحتوي الأرشيف التاريخي له [(3)].

**تعريف العنف:**

---

(1) المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط3، 2003، ص472.

(2) Domminique et Janine Sourdel : Dictionnaire Histoire Historique de L'islam, Puf, Paris1996, p864.

(3) مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع جامعة السانيا، وهران، 2011/ 2012، ص19 بن حدو فاطمة الزهراء، دور الزوايا في المدينة، مقاربة سوسيو أنثروبولوجية لزاوية سيدي الجازولي بوهاصة ولاية عين تموشنت.

التعريف اللغوي: ذكر ابن منظور أن العنف هو معنى الخرق بالأمر وقلة الرفق ليشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتقريع (1) ويقال عنف فلان فلانا أي لامه بشدة، وعنفه وعنف عليه واعتنف الأمر، بمعنى أخذه بالعنف والشدة واعتنف الشيء أي ابتدأه واستقبله، جهله وأتاه ولم يكن له به علم واعتنف الطعام والأرض أي كرههما(2). أما الخليل فيرى أنّ العنف ضد الرفق فتقول عنف يعنف عنفا فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره(3).

اصطلاحا: تعددت تعاريف العنف بتعدد الرؤى واختلاف التخصصات لكنها تتفق في كونه-أي العنف-تهديد يلحق الضرر بالفرد والمجتمع وقد تحدث توماس هوبس Tomas Hobbesعن مفهوم الرغبة كمنطلق يمكن ان يؤدي الى العنف وتحدث فرويد Freud عن العنف الفطري ثم جاء علماء النفس الاجتماعي بنظرية (العنف المكتسب) وركزوا على دور البيئة في اكتساب الشخصية الفردية او الجماعية صفة عدوانية وقالوا ان انسان يتعلم نماذج العنف ويقلدها(4).

**تعريف التطرف:**

**التعريف اللغوي:** الوقوف في الطرف وهو عكس التوسط والاعتدال، ومن ثم يقصد به التسيب أو المغالاة وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط، وفي لسان العرب لابن منظور: «تطرف الشيء صار طرفا... وتطرفت الشمس أي دنت للغروب) (5).

**التعريف الاصطلاحي**: التطرف هو الجنوح فكرا أو سلوكا إلى أقصى طرفي اليمين واليسار، و يرتبط بأفكار بعيدة عما هو متعارف عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا، دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع، أو الدولة، ويرى البعض أنّ التطرف يحمل في

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص:3132.
(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط،ص:231 2.
(3) أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص: 283.
(4) ناظم عبد الواحد الجاسولي، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ص:432 4. .
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص:146.

جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، يتجاوز مداها الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع[1] وقيل بأنّه "مصطلح محدث....يكون في الدين كما يكون في الفكر والسياسة والأخلاق والسّلوك وهو إتيان غاية الشّيء ومنتهاه"[2].

وقد يحيلنا لفظ العنف في البلدان الغربية إلى مفهوم القوة غير المشروعة أو إلحاق الأذى بالأشخاص والممتلكات، ويتضمن معاني العقاب والتدخل في حريات الآخرين[3]، وقد يتخذ العنف شكلا سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا ويوافق هذا قول محمد أركون: «عنف مقدس يخلع المشروعية على ذاته من خلال التعاليم الإلهية للأديان وعنف مادي أو معنوي محض نزعت عنه اغلال التقديس»[4] .

**المريد: التعريف اللغوي:** مريد وجمعها المريدون وهو اسم فاعل من الفعل أراد والمريد تابع متعلم على شيخ طريقة والمريد رتبة من رتب الصوفية، هو مريده أي من طلبته وأنصاره ومناصريه.

والمريد هو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق، وقرر سلوك طريق التصوف، ودخل تحت تربية شيخ الطريقة؛ لذا فهو ملزم بقراءة بعض الأوراد التي يكلفه بها شيخه في اليوم والليلة، حتى يسير على طريقته في التصوف؛ وذلك ضمن تربيته للمريد.

**التعريف الاجرائي:** هو شخص يقصد مكانا معينا، ويسلِّم نفسه بالفعل للشيخ بصفة دائمة ومستمرة .

**حدود الدراسة:**

**الحد الزماني**: يتمثل الحد الزماني في هذا البحث أبريل2017.

---

(1) نسرين، حمزة السلطاني، دور التربية والتعليم في تحصين عقول الناشئة من التطرف والإرهاب، مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية والإنسانية، ص:572.

(2) الحقيل، سليمان، عبد الرحمن، حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ص:9 وما بعدها.

(3) نقلا عن: فتحي المسكيني، ما هو الإرهاب؟ نحو مسالة فلسفية، مجلة دراسات عربية، ع:1-2، ص4:، وينظر محمد أركون، نزعة الانعام في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، ص:337.

(4) ينظر : معجم المعاني الجامع مادة (مريد) نسخة إلكترونية ، (http://www.almaany.com/ar/dict/ar).

**الحد المكاني:** الزاوية العلوية.

**الحد البشري:** مريدي الزاوية العلوية

**الإجراءات المنهجية للدراسة:** تماشيا مع طبيعة الدراسة وأهدافها توجب علينا الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من أجل الاقتراب من الخصائص الأنثروبولوجية لفئات مجتمع البحث والتي تمثلت في مريدي الزاوية العلوية وعددهم عشرون، إلى جانب تقنيتي الملاحظة والمقابلة.

**2. أولا-التربية الإسلامية لمواجهة العنف والتطرف:**

لقد ثبت لعلماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع أثناء دراستهم لثقافة التربية وكيفية التعامل معها، أنّ مجمل السلوكيات إما تتناقل من جيل إلى آخر، أو يتم توارثها، حيث تبين لهم بعد دراستهم الميدانية للمجتمعات البدائية أنّ هذه الثقافة تنتقل عبر المرافقة، ويؤكد هذا الأمر أبو هلال في قوله:" التربية أداة للتعبير الثقافي "(1).

وبما أنّ الانسان هو من أنتج هذه الثقافة فهو يطورها حسب ديناميكية المجتمع وتطوره، والتطور الاجتماعي عبر مراحل الزمن فرض تكريس مجموعة من السلوكات، وشجّع على التمسك بها، ونبذ سلوكات أخرى، ودعا إلى محاربتها غير أن"هذه الإزالة لا تكون إلا عبر منهج تربوي يعمل على تقويم السلوك التربوي وإصلاح اعوجاجه وتعديله حسب طبيعة القدرات العقلية والجسمية ونموها لدى الفرد.

وأمام دخول العالم في طور القرية الكونية الواحدة، وامتداد الطوفان المعلوماتي الرهيب إلينا، أصبح من السهل جدا التأثير على ثقافة أفراد المجتمع وعلى أفكارهم وعقيدتهم، من هنا كان لابد على مؤسسة الزاوية أن تسخّركل ما لديها من أجل إيقاف هذا الغزو الثقافي، وتحصين الفرد بالعلم والمعرفة والدين الوسطي والمعتدل، حتىلا يكون هدفا سهلا للعنف والتطرف، لذا أخذت على عاتقها مسؤولية تربية المريدين والمريدات تربية دينيةمبنية على الإسلام البسيط، الذي ينبذ كل أشكال العنف والتطرف، غير أنّ محاربة هذه الظاهرة لا يكون إلا من خلال التربية الروحية والدينية.

---

(1) أبو هلال أحمد، الأنثروبولوجية التربوية، ص:219.

## 1- أهداف التربية الاسلامية:

لا مراء أنّ التربية عملية فردية واجتماعية تعنى بسلوك الإنسان[1]، وتقويمه داخل الجماعة التي ينتمي إليها، وذلك من خلال نقل جملة المعارف ومهارات والعادات والمعتقدات واللغة إليه، حتى يصبح فردا فعّالا، يخدم بيئته ومجتمعه، وهذا ما يجعلها تكتسي طابع الحيوية والأهمية الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

- تعمل التربية على أنسنة الإنسان من خلال جعله فردا له القدرة على التعايش والتأقلم مع الآخر وفق النظم والقيم والقوانين الخاصة بالمجتمع الذي ينتمي إليه، والبيئة التي يعيش فيها.
- تعمل التربية على نقل التراث من جيل إلى جيل، مما تجعل الفرد يكتسب حضارة الماضي، ويستفيد من تجارب السلف، وهذا يتيح له اكتساب الخبرات المتزايدة، ينمو على أساسها ويصنع حضارة حاضره من خلال عملية الانماء، وتعديل النظم الاجتماعية المختلفة، وتطويرها وفق ما يصنع حضارة مستقبله وتقدمها.
- المحافظة على القيم والمثل العليا في المجتمع

---

(1) يوافق هذا تعريف مقداد يالجن حيث يقول:" إعداد النشء في جميع جوانبه الإيمانية والنفسية والعقلية والاجتماعية ،لإعداده لإعمار هذه الأرض والاستعداد للآخرة أما جون ديوي فيقول: «إنّ التربية هي الحياة، وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئته "و يعرفها ( جون ستيوارث مل): "بأنها كل ما يؤثر في الفرد في اتجاه نموه، أي أنّها ليست مقصورة على ما يدور في الأقسام من عمليات ،فهي أوسع وأشمل، إذ تتضمن كل ما يقوم به الآخرون نحونا ،قصد تقريبنا من بلوغ ، هدف أساسي هو تحقيق كمالنا الطبيعي و لا يستبعد جسم المؤثرات البيئية الطبيعية المستقلة عن إرادة الإنسان " يرى مقداد يالجن أن التربية هي :" إعداد النشء في جميع جوانبه الإيمانية والنفسية والعقلية والاجتماعية ،لإعداده لإعمار هذه الأرض والاستعداد للآخرة ، ويعرفها (اميل دوركايم): " التربية هي العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال النامية، ومساعدتها على الانخراط في الحياة الاجتماعية"( انجيلا ميديسي، **التربية الحديثة**، محمد أحمد سليمان ص:66.

- والتربية الدينية تهتم بتربية العواطف، والمشاعر التي تبعث في نفس المتدين احترام الطقوس الدينية، والمشاركة في المناسبات الدينية، والاحترام الدين، وشعائره والتردد على أماكن العبادة [(1)].

ولقد عني جمهور الصوفية بالتربية الدينية الإسلامية لأنها ليست مقتصرة على الجانب الظاهر فقط أو السلوك ؛ إنما لأنها تتعلق أيضا بتصفية الذات وتطهيرها من رعونتها حتى تطيق حمل السر، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها، وقطع علائق الباطل عن وجهتها، ثم قطع الباطل عنها ، تارة يكون بصفائها في أصل خلقتها، بأن يطهرها الله بلا وساطة ،وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير قرون، وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه، أعني قطع الظلام من الذوات، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ،حيث فسدت النيات وكسدت الطويات، وصارت العقول متعلقة بالدنيا، باحثة عن الوصول غلى نيل الشهوات واستيفاء اللذات [(2)].

ولقد اهتم شيوخ الطرق الصوفية الأُول بتهذيب المريد وتقويم سلوكه وفق مراقي صوفية يتم التدرج وفقها حتى مبلغ السمو الروحي، واليوم نجد القائمين على هذه المؤسسات الدينية من مرشدين أو كما يصطلح على تسميتهم في وهران ب (المقدم، والمقدمة)[3] بتوجيه المريدين والمريدات إلى الامتثال الخلقي ومن ثم إلى الكمال الإنساني، الذي يهدي إليه الدين الإسلامي بالمتابعة في مقام الأفعال، كما هو مطلوب في الشريعة، أو مقام الإسلام، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[ آل عمران:31]، كما عمدوا إلى رسم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي، فحددوا أهدافًا خاصة للتربية ، وضبط سلوك المريد، وتعديله ، ومنازل يسير فيها السالك في دربهم، وقد تم وضع ملامح هذا المنهج منذ بدأ

---

(1) أنظر: الزحيلي، محمد، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، مرجع سابق، ص:19.

(2) ينظر: قاسم بن صلاح الدين الخاني، السير والسلوك الى ملك الملوك، مرجع سابق، ص:232 .

(3) المقدم: هو شيخ الزاوية والقائم على شؤونها، وهو من يدير أشغالها، كما يقوم على تعليم المريدين. والعهد الذي يربط المريد بالطريقة الصوفية يؤخذ منه مباشرة. ومثلما يوجد مقدم قائم على المريدين من الرجال، يوجد مقدمة تقوم على شؤون المريدات من النساء.

الفكر الصوفي في الظهور في أواخر القرن الثاني الهجري، وبلغ هذا المنهج الغاية تقريبًا مع نهاية القرن الرابع الهجري، حيث أسست الخانات والأماكن الخاصة التي يتجمع فيها الصوفية وكانت لهم في هذا الوقت مشاعر خاصة، كالسماع والذكر الخاص، ورسوم وإشارات وملابس خاصة، ولم يكن لهؤلاء الفقراء أو المتصوفة في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع شيخ خاص بكل فريق، وإنما كانوا يتربون على ما يسمعونه، ويتناقلونه من كلام مشايخهم بوجه عام. ولكن منذ أواسط القرن الرابع بدأت التربية على يد شيخ خاص، لا يتجاوزونه إلى غيره، ثم يرثه بعد ذلك شيخ على منهجه وطريقته.

ومن خلال دراستنا الميدانية ثبت لنا عن طريق الملاحظة والحضور الأسبوعي بالزاوية العلوية أنّ مقدم الزاوية يبذل جهدا في تهذيب المريدين شبابا وشيوخا وأطفالا، حيث يقوم منهجه على تعليمهم القرآن الكريم وتعاليمه ، بالإضافة إلى ما تعلق ببعض الفرائض وسننها كالصلاة والزكاة والحج والصيام، كما لاحظنا سعيها الحثيث في محاربة كل أنواع السلوكات الشاذة والمنحرفة والتي تتنافى والإسلام ، داعية إلى محاربته من جهة وإزالته نهائيا من جهة أخرى، كما تجتهد للمحافظة على القيم والعادات والتقاليد التي تمثل هوية الشعب الجزائري، وتراثه العريق والذي يجب احترامه والمحافظة عليه "إن عملية التنشئة الاجتماعية قائمة أساسا على ترويض وتعليم الفرد آداب السلوك الاجتماعي، للتواؤم مع قواعد المجتمع، ومعاييره ،وكذلك القضاء على ما يكون لدى الفرد من مقاومة لقوانين المجتمع ونظمه"[(1)].

ولقد تبين لنا أيضا من خلال زيارتنا للزاوية (محل الدراسة) أنها تعتمد على المنهج التربوي القائم أساسا على تعليم الأطفال وكبار السن من الرجال القراءة والكتابة، كما تقوم بتقديم دروس في فقد اللغة والنحو وتعليم كبار السن من الرجال بعض ما تعلق بنواقض الوضوء وفرائض الصلاة وسننها وبعض المسائل الدينية البسيطة.

### 3. ثانيا-دور الزاوية في محاربة العنف والتطرف:

---

(1) منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، نشأة المعارف بالإسكندرية، ص 182 .

### 1.3. المنحى الأول: منهج الوقاية

وهو مبدأ يعتمده غالب العقلاء، ويقر به أصحاب الفكر، ومن منطلق الوقاية خير من العلاج، فإنّ المريد في مؤسسة الزاوية ، يدرك طبيعة علاج الأمراض الروحية مثلما يدرك أهميته، إلى جانب علاج الأمراض الجسدية والعقلية، ولعل أخطر تلك الأمراض هي الأمراض الفكرية ،ومجتمعاتنا العربية قد ابتليت بداء العنف والتطرف، والذي كان ولا زال هدفا لدول العالم الغربي، والذي يستهدف إخضاع الأمم والشعوب الضعيفة وتذويبها في أطر ثقافية جديدة، أو تفجيرها من الداخل من أجل أن تحكم القوى الاستعمارية الجديدة القديمة سيطرتها على مصائر هذه الشعوب ، من هنا كانت الحاجة ماسة إلى العودة إلى الإسلام الشعبي المعتدل، والوسطي والبسيط ، وكان من ضروري جدا محاربة هذه الظواهر والتصدي لها، إمّا عن طريق العلاج أو الوقاية منها على الأقل.

ولأن الزاوية شبيهة بالمدرسة، فإنها وإن كانت تتشابه في التعليم، فهي تختلف في الوسائل التي تتكئ عليها في عملية التعليم، حيث خلص أحد الباحثين إلى: "أنّها –أي الزوايا–أشبه بمدارس تتّحد ّغايتها في التعليم وتختلف وسائلها، اختلاف المعلم الذي يجتهد في أن يضع لتلاميذه قواعد ورسومات خاصة يرى أنها أفضل في تعليمهم مع بقاء الغاية القصوى من الطريق الصوفي "[(1)].

إلّا أنّ أهم ما يعنى به الصوفيون هو تأسيس قاعدة وبنية تحتية للسالكين والسالكات تتمثل في الصحّة الايمانية

كعلاج وقائي مناعي، فإن صحّت، صحّت سائر الأعمال، وإن فسدت، فسدت كلّ الأعمال، وهو أمر سعت

إليه- قبلا–العقيدة الإسلامية بشكل كبير، حيث أنّ راحة النفس لا تتأتى إلّا بالإيمان بالله جلّ وعزّ، وإذا عُلِمَ

هذا، فليعلم أن أساس قبول العمل عند الله هو الإيمان؛ لقوله جل وعز ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾[ الأنبياء: 94] .

---

(1) أبو الوفا التفتازاني، مدخل الى دراسة التصوف، ص286.

والايمان يشكل اللّبنة الأساسية في بناء شخصية مثالية، وعنها ينبثق الشعور والتطور ونمط السلوك، فالإيمان ليس مجرد معرفة ثقافية، إنّما هو القاعدة الأساسية التي يقام عليها البناء الشخصي، ولذلك تحرص مؤسسة الزاوية العلوية على تربية المريد تربية إيمانية صحيحة لتصنع منه الإنسان الرسالي الذي تعيش الرسالة في أعماقه، ويمارس دوره في الحياة وفق خط تصاعدي لا اهتزاز فيه. فهي تريد الإنسان أن يكون سوياً مستقيماً مع نفسه ومع غيره، وهذا ما لا يحقق إلاّ بالتوافر على الرصيد الإيماني الضخم الذي يمنحه قوة الثبات وقدرة الصمود.

وبهذا المعنى يصبح الإيمان ترجمة حقيقية للنفس الإنسانية من خلال تفاعله مع الآخر داخل مجموعة من الأفراد حيث تصبح الأفعال والاقوال مرآة تعكس صدق سريرة صاحبها وقوته الايمانية، إذ لا معنى للحالة النفسية الايمانية إذا لم تتحول إلى سلوك تفاعلي يومي يظهر من خلال التعاملات اليومية مع الناس، ويكون فردا فعالا بناء ويؤثر إيجابيا في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

لذلك لا نجد غرابة في زيادة اهتمام الزاوية العلوية بالتربية الصوفية الإسلامية، لكونها حصانة قيميّة وسلوكيّة ضد التطرف بكلّ أشكاله، وحرصها على إعادة الاعتبار للقيم الروحيّة، وفاعليتها في تنظيم الحياة الاجتماعية، وإعادة صياغة السلوك الاجتماعي وفقا لقيم الأخلاق والذوقية الجمالية، والتفاهم والحوار الاجتماعي "والصوفي مثل أي مسلم جيد ملزم باحترام الشريعة واتباعها من خلال تجاوز المعنى الحرفي من أجل إعطاء الأولوية للروح"(1).

لذا من الإجحاف أن نغضّ الطرف عن ذلك الدور الكبير الذي تلعبه مؤسسة الزاوية في تشكيل البنية القاعدية لسلوك المريدين كبارا كانوا أو صغارا، وحرصها على تكوين شخصية المريد، وفي توجيه سلوكياته و علاقاته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل مجتمعه الذي تعيش فيه ، ومع باقي الأفراد الذين يتفاعل معهم ، لذلك تعد التربية الصوفية بمثابة صمام أمان ضد العنف والتطرف، وهي تتمظهر في ممارسات اجتماعية تجعل أصحابها مثالا يحتذى حذوه من

(1 ) Revue Rose-Croix n° 223 – 2007,p6

قبل الآخر، وتصنع منهم نموذجا بشريا ، وفردا مصلحا داعية بأفعاله وأخلاقه وأقواله، ومن ثمة ضمان إنتاج أمة خيرية ترقى بالإنسانية عقائديا وفكريا واجتماعيا وسلوكيّا.

ومن خلال ما سبق ندرك أن منهج الوقاية الذي تستخدمه الزاوية في تعليم المريدين مبني على تصحيح الأفكار وتقويم السلوك وتعديله، وغرس قيم التسامح والسلم في نفوس السالكين، لأن التربية الإيمانية صمام أمان لعدم انتشار فوضى القيم الشخصية والبرغماتية التي تبرر الوجود الاجتماعي لكل أنواع الانحراف السلوكي وليس فقط العنف والتطرف.

-ويمكن أن نجمل النشاطات التي تقوم بها الزاوية لمحاربة العنف والتطرف فيما يلي:

1- تعليم القرآن وتحفيظه
2- محو الأمية عن طريق تعليم الحروف وفقه اللغة إلى جانب سرد قصص للأنبياء والمرسلين.
3- تعليم الصلاة والوضوء وبعض العبادات الأخرى.
4- نشر الفكر الوسطي المعتدل، ونبذ العنف والتعصب للرأي والتطرف في الأفكار، والسعي إلى أن تكون الوسطية ثقافة عامة وليست ثقافة خاصة. والدعوة إلى اعتمادها كمنهج في الحياة،
5- تنمية الشعور بالأخوة الإنسانية والمجتمعية من خلال تقبل الطرف الآخر واحترام رأيه بغض النظر عن مذهبه وجنسه وفكره.
6- محاربة الفراغ الروحي والنفسي الذي قد يملأه البعض بالسلوك المنحرف وذلك من خلال توجيه طاقات المريدين الشباب واستثمارها لصالح المجتمع من خلال دمجهم في النشاطات والاحتفالات الدينية المبرمجة، والأعمال الخيرية بالزاوية.
7- بناء السلوك على معايير القيم والدين والعقل والالتزام بالإسلام كمنهج حياة، وتقديم نموذج حقيقي للتدين.
8- صناعة المناخات والأطر المناسبة لممارسة السلوك السوي وإيجاد أجواء الحرية التي تسمح بالتنفيس عن الأفكار والمشاعر، واحترام المعارضة الهادفة.
9- التهذيب النفسي وصناعة الاستعداد لمواجهة الأزمات بعيدا عن الانحراف.

10- برمجة الأفراد على الالزام بالقيم والمعايير والاستدراك المسبق للانحرافات المحتملة.

11- تعزيز سلطة الرقابة الدينية والرقابة الداخلية من خلال إنماء الصحة الإيمانية.

### 2.3. المنحى الثاني: منهج العلاج

تضم مؤسسة الزاوية العديد من المريدين ومن كل الفئات العمرية والجنسية ، ولاشك أن بعضهم من يتعصب لدينه ويفرط في المغلاة ظنا منه أنه يخدم دينه، وقد تظهر هذه السلوكات العنيفة على مثل هؤلاء أثناء بعض النقاشات التي يفتحها المردين بينهم ، وهنا يأتي دور المقدم (المشرف) الذي ينتبه إلى بوادر العنف لدى المريد أو إلى تعصبه وتطرفه وعدم قبوله بالرأي المخالف له ، ورفضه للنقاش، وفي هذه الحالة وحسب حضورنا لمثل هذه الحلقات اتضح لنا أن المقدم (المشرف) لا يبادر إلى التدخل فوري، إنما يكتفي بالملاحظة ثم يستدعي المعني في جلسة منفردة ويفتح النقاش معه مجددا، ويحاول فهم دوافعه وأفكاره ويعدلها وفق حوار لين ومدعوم بأدلة من القرآن والسنة، فالأمر حسب تصريحه يحتاج إلى التفهم والصبر والنفس الطويل ، وذلك من أجل تعديل الدفة المائلة لهؤلاء، وعلاج الداء الذي حلّ بهم ، دون التصريح أمامهم بذلك ، وهو أمر ليس بالسهل.

ويمكن أن نجمل طرائق العلاج التي تتبعها الزاوية لعلاج العنف والتطرف فيما يلي:

1- التدعيم النفسي والأخلاقي، وتنمية الحس الاجتماعي لدى الفرد المتطرف، وعدم قطع الصلة به فور اكتشاف أمره، بل يجب احتواؤه، والتقرب منه والتعرف على دوافع فكره، وتنمية الشعور لديه بأنه جزء من نسيج المجتمع، وإن اختلفت الأفكار.

2- اعتماد الحوار كوسيلة للتغيير، فالمعالجة الأمنية لا تجدي نفعا، فلم يكن السوط يوما وسيلة للإقناع وتغيير القناعات، بل تقابل الكلمة بالكلمة، والفكر بالفكر، والحجة بالحجة، والدليل بالدليل.

3- الحلم والأناة وحسن الظن مع المتطرفين، فهم يرون أن المجتمع بكل أطيافه يبغضهم، وإن كانوا يسعون إلى الإصلاح، وإن أخطأوا الطريق، فلا يشكك في نواياهم، بل يسلم لهم بصلاح النية، مما يحدث تقاربا بينهم وبين المحاورين لهم، ويفتح آفاقا للحوار والسماع، فإن استمتعوا وفتحوا آذانهم وقلوبهم كان هذا أدعى لإقناعهم.

4- المناقشات المغلقة: بحيث تكون هناك جلسات مغلقة وخاصة بينهم وبين أحد الأئمة الذين يوثق بهم من أجل اقناعهم بالعدول على آرائهم المتطرفة وذلك باستخدام الحجة والدليل والبرهان.

5- تجنب التطرف في الموقف من المتطرفين: لأنّ استعمال التطرف من جانب المعالجين أشد خطرا، فكثير من الجهات التي تحمل ملف التطرف تقابل التطرف بالتطرف، والغلو بغلو أشد، مما يعني أننا أضحينا أمام فريقين كلاهما متطرف متعصب لرأيه، وهذا يولد عنفا وتطرفا أكثر.

6- اعتماد منهج القرآن في الحوار والنقاش مع المخالف لنا في الرأي.

وقد قدم القرآن لنا نموذجا رائعا في محاورة المخالف ولو كان كافرا، كما في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف من الآية: (32-44)، والتي تنتهي إلى القول بأنّ مسألة الاختلاف والتناقض في فهم الحياة مدعاة للتفكر في مسألة الوعي بالقيم الروحية لا المادية، والمعاني السامية في الإسلام، وإقرار قيم التسامح والسلام، وحسن التحاور ونبذ العنف والتعصب للرأي والتطرف تلك أداب الحوار كما أرشدنا إليها سبحانه في محكم تنزيله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[ فصلت:33]، وقوله أيضا: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [ النحل: 125].

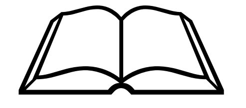
## 4. خاتمة:

إن مؤسسة الزاوية كانت ولا زالت تلعب دورا طلائعيا في الحياة الصوفية والاجتماعية ، فلقد أسهمت في تنشيط الحياة الروحية والعلمية والاجتماعية في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال أدوارها التي تقوم بها ، وتكفلها بتعليم المريدين والمريدات ، وفق منهج تعليمي وارشادي وقدرته الوقائية والعلاجية ذوقا ووجدانا وسلوكا ومقاما وحالا، وهو منهج سليم وفاعل لصناعة السلوك الاجتماعي المرغوب ،كما أنّها وسيلة لترقية نفس المريدين والحصول على الوعي اللامتناهي في الكمال والذي يحدو بحامليه إلى الابتعاد بعيدا عن كل السلوكات المشينة التي تتسبب في تفكك المجتمع، وتؤدي إلى هشاشة بنيته ، كما تعمل التربية الروحية في مؤسسة الزاوية على إعادة شحن النفس بتقوى الله وبالخصال الحميدة، واحترام القيم والمبادئ الدينية ، وكل هذا يضمن صناعة مجتمع تتساوق فيه العلاقات والمصالح والمنفعة، فلا مكان للأنانية ولا للمصالح الشخصية ولا للتباغض

ولا للعداوات ولا للصراعات، بل تضمن حالة من الأمن والاستقرار والتوازن والتكافل الاجتماعي.

وإذا جاز للباحثة أن توصي ببعض ما تراءى لها من خلال هذه الدراسة، فإنه يقع فيما يلي:

بضرورة العناية بكل ما يغذي الحياة الروحية ويساهم في نموها، فالإنسان في هذا العصر قد نمّا العقل والتكنولوجيا، وحرص على متعه ورفاهيته، مهملا الجانب الروحي من تكوينه، وهو الأمر الذي يؤدي إلى اختلال في تكوين شخصيته الإنسانية، لذا يصعب تصور استمرار عملية الارتقاء البشري في ظل غياب واندثار الأخلاق والقيم المعنوية والروحية.



## 5. قائمة المراجع:

1- **القرآن الكريم**

2- أبو هلال أحمد، **الأنثروبولوجية التربوية**، مكتبة النهضة الإسلامية، ط3، سنة 1979.

3- العقبي، مؤيد صلاح الدين، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، طبعة أولى، 2009.

4- ابن منظـــور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين: **لسان العرب**، المجلد الثامن، دار النشـــر والتوزيـــع نوبلس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة2006.

5- أبو الوفا التفتازاني، **مدخل الى دراسة التصوف**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1973.

6- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، 1979.

7- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة**، ط الرابعة، م، دار العلم للملايين، بيروت، ج4 1407هـ/ 1987.

8- الزحيلي، محمد، **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دمشق، ط 1، 1976

9- العقبي، صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البصائر، ط1، 2002.

10- القشيري، **الرسالة القشيرية**، مكتبة صبيح واولاده، القاهرة 1965.

11- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط3، 2003.

12- انجيلا ميديسي، **التربية الحديثة**، محمد أحمد سليمان، ترجمة وتحقيق: علي شاهين، عويدات للنشر والطباعة بيروت، ط 1، 1963.

13- جميل صليبيا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، 1978.

14- قاسم بن صلاح الدين الخاني، **السير والسلوك إلى ملك الملوك**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط 1، 2002.

15- منال عبد المنعم جاد الله، **التصوف في مصر والمغرب**، نشأة المعارف، د ت، الإسكندرية، مصر.

16- موريس أنجرس: **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، ط2، 2006.

17- نسرين، حمزة السلطاني، **دور التربية والتعليم في تحصين عقول الناشئة من التطرف والإرهاب**، مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد23، تشرين أول، 2015.

18- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، ج2،1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، د.ت

19- أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2008.

20- الحقيل، سليمان، عبد الرحمن، **حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب**، ط. 2، الرياض، 2001.

21- بن حدو فاطمة الزهراء، **دور الزوايا في المدينة**، مقاربة سوسيو أنثروبولوجية لزاوية سيدي الجازولي بوهاصة ولاية عين تموشنت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع جامعة السانيا، وهران، 2011/ 2012.

22- عبد الحليم محمود، **المنقذ من الضلال**، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1985.

23- ناظم عبد الواحد الجاسولي، **موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2008.

1- Domminique et Janine Sourdel: Dictionnaire Histoire Historique de l'islam, Puf, Paris1996 , p864.

